دور التنظيمات الدينية العسكرية في حروب الصليبيين ضد مصر 558-648هـ/1162-1250م

أ.م.د.مصعب حمادي نجم(*)

ملخص البحث

يسلط هذا البحث الضوء على دور التنظيمات الدينية العسكرية في حروب الصليبيين ضد مصر ابتداء من الحملة الصليبية الأولى سنة 490هـ/1097م ، حتى الحملة الصليبية السابعة سنة 647هـ/1249م ، كما يوضح المعارك العنيفة التي شاركت فيها تنظيمات الأسبتارية والداوية والتيوتون ضد المسلمين وتمكنت من تحقيق الأهداف المناطة بها لخدمة المشاريع العدوانية الصليبية في الأراضي الإسلامية .

وعلى الرغم من هذا الدور الذي أطال الوجود الصليبي لمدة قرنين من الزمن إلا أنها أسهمت في أضعاف دولة الاحتلال الصليبي في ذات الوقت بسبب الانقسام والتصارع على المكاسب بين التنظيمات المتنافسة فضلا عن أنها كانت في معظم الأحيان تقدم مصالحها وأهدافها الخاصة على حساب الصالح العام الصليبي فاهتمت بجمع الأموال والثروة والصيرفة مما أدى إلى الإفلاس الأيديولوجي لتلك التنظيمات التي قامت على مبادئ الرهبة والفروسية .

(*) أستاذ مساعد في قسم الحضارة،كلية العلوم الإسلامية،جامعة الموصل.

The Role of Religious and political Organization in Crusaders was against Egypt 648-558A.H / 1162 -1250A.D.

Asst. Pro . Dr . Mosab Himadi Najem

ABSTRACT

This paper sheds light on the Role of the religious and Political organizations in the Crusaders was against Islamic Egypt since the first Crusade com pus till the seventh Crusade com pus . It also clarifies the violent battles which the crusaders have fought against the Muslims have become able of achieving the aims they prepared to do to serve the Crusade aggressive projects in Islamic land ,And in spite of this role in elongating the crusade existence for two Centuries , it contributes in weakening the nation of Crusade Occupation , because of the division and the struggle on the profits among the competed organizations . In addition the mostly prefer their special benefits and aims upon the general benefit of Crusade , For , they have concerned with gathering money , Wealth and exchange which lead to Ideological bankruptcy of those organization are based on the monasticism and chivalry .

دور التنظيمات الدينية العسكرية في حروب الصليبيين ضد مصر

شهد عهد بلدوين الأول **Baldwin I** ملك مملكة بيت المقدس الصليبية (494 –512هـ/1101– 1118م) أول محاولة لغزو مصر ، فبعد أن استولى الصليبيين على معظم مدن الساحل الشامي مضى بقواته ليستكشف طريق

الغزو ، وتوغل في صـــحراء سيـناء ودخل الفرما على الساحل واستولى عليها سنة 512هـ/ 1118م ،غير أنه لم يمكث فيها سوى أيام قليلة وقرر بعدها الانسحاب وفي طريق عودته إلى فلسطين أصيب بمرض فلقي حتفه هناك (1) وبوفاته انتهت مرحلة التوسع الصليبي التي قادها هذا الملك لتبدأ مرحلة التوازن بين الجبهة الإسلامية من الشمال وبين الصليبيين بحيث أخذت أنظار الجانبان تتجه نحو مصر التي حاول الصليبيين التوسع على حسابها (2) لاسيما أن مصر كانت مركز التحدي والمقاومة للاحتلال الصليبي منذ العصر الفاطمي والأيوبي حتى العصر المملوكي (3).

وقد كانت الأحداث السياسية في مصر تجري بسرعة نحو التدهور في عهد الخليفة الفاطمي الآمر بالله (494-525هـ/ 1101-1130م) لاسيما بعد اغتيال الوزير الأفضل بن بدر الجمالي سنة 515هـ/ 1121م ، إذ لم يعد هناك حاكم قوي في مصر يستطيع إدارة دفة الأمور وحكم البلاد ودخلت مصر في دوامة لا نهاية لها من المؤامرات والدسائس والدماء بحيث انتعشت آمال أعدائها الصليبيين المتربصين خارج الحدود (4) .

وتزامنت هذه الأوضاع مع حكم بلدوين الثالث **Baldwin III** ملك مملكة بيت المقدس الصليبية (538- 559هـ/ 1143-1163م) الذي بدأ في إصلاح تحصينات غزة مما كشف عن نيته المبيتة في غزو مصر بشكل واضح وصريح وكانت عسقلان (5) لا تزال بأيدي المصريين وتمثل تهديدا محتملاً ضد الوجود الصليبي في فلسطين، وفي سنة 548هـ/1153م ، تمكن الصليبيون من الاستيلاء على عسقلان ، وهكذا تم إخضاع الساحل الشامي كله للمحتلين الصليبيين بعد مرور نصف قرن من بدء الحملة الصليبية الأولى . وبذلك تمت موازنة الهزائم التي تلقاها الصـــليبيون على الجهة الشـــمالية ضـــد السلـطان نـــور الدين

زنـكي (541- 570هـ/ 1146- 1174م) بانتصارهم على الجهة الجنوبية في عسقلان ضد الدولة الفاطمية المتهاوية آنذاك [(6)].

وعلى الرغم من وفاة الملك بلدوين الثالث في 10 شباط 559هـ /1163 م إلا أن سياسته الخارجية التي قامت على أس ــــاس غزو م ــصر لم تتوقـــف إذ أن خليفته املريــك الأول Amalyric I الــــذي تـ ـولى عـ ـرش المـ ـلكة الصلـــ يبية (559- 569هـ/ 1163-1174م) كانت في حقيقة أمرها سلسلة متصلة من المحاولات الهجومية الدءوبة لاحتلال مصر ، وكانت الظروف تحتم تلك السياسة ، إذ أن إتحاد حلب ودمشق تحت حكم السلطان نور الدين زنكي جعل الملك املريك يفكر جدياً في غزو مصر وأعتقد أنه الحل الوحيد لنجاة الصليبيين ، ولكن من سوء حظ الملك املريك أن السلطان نور الدين زنكي كان مدركاً لأهمية التطورات السياسية الداخلية في مصر على مجريات الصراع الإسلامي الصليبي . وهكذا كان السلطان نور الدين والملك املريك على أهبة الاستعداد لبدء السباق للفوز بالجائزة الكبرى وهي مصر لمواردها البشرية والاقتصادية الهائلة [(7)] وأخيرا سنحت الفرصة لتدخل الجانبين بعد وفاة الوزير الفاطمي الصالح بن رزيك سنة 558هـ/1162م واندلاع الصراع على كرسي الوزارة بين ابنه العادل الذي مكث في كرسي الوزارة خمسة عشرة شهراً شاركه خلالها شاور حاكم الصعيد الذي قتل ابن رزيك ثم حاجبه ضرغام الذي بادر بقتل كبار الأمراء الذين كان يخشى منهم على نفسه وعلى منصبه [(8)].

وإزاء هذا الموقف العصيب في مصر لم يبق أمام شاور سوى التوجه نحو بلاط السلطان نور الدين زنكي بينما وجد الملك املريك الفوضى الضاربة في مصر آنذاك فرصة ملائمة في الهجوم على مصر بحجة عدم دفع الإتاوة السنوية التي فرضها الصليبيين على مصر في عهد سلفه الملك بلدوين الثالث [(9)] وقد عد وليم الصوري هذا التصـ ـرف إجراءا خاطـــئاً ألا وهو إعلان الحرب على دولة

حليفة [10] وكان أكبر المؤيدين والمساندين لهذه السياسة الجديدة هو تنظيم الأسبتارية [11] لاسيما في عهد مقدمها جيبرت داسيلي **Gilbort Dassely**(558-566هـ/ 1162-1170م) الذي كان قد انتخب لقيادة التنظيم لكونه قائداً لمدينة صـــور ، وكان واحــداً من مساعديـــه المـــلك املريك في سنة 541هـ/ 1146م ، ويعد واحداً من أكبر القادة العسكريين الصليبيين الذين أنجبهم التنظيم في الأراضي المقدسة [12].

ومما يجدر ذكره أن فرسان تنظيم الأسبتارية كانوا ملتزمين بالدفاع عن مناطق نفوذ الاحتلال الصليبي في الشرق الإسلامي وحماية الأماكن المقدسة في فلسطين ، كما كانوا مرتبطين بالبابا مباشرة فضلا أن كنائس مملكة بيت المقدس كانت قد خصصت عشر دخلها لمساعدتهم في أداء رسالتهم الدينية المزعومة [13].

وقد أزداد ارتباط ذلك المقدم بالملك املريك من خلال اعتماد الأخير اعتماداً كلياً على التنظيمات الدينية العسكرية الأسبتارية والداوية [14] وقد تمكن من إقناع الملك املريك بتجهيز حملة صليبية ضد مصر، وبذلك كان جيبرت المحرك الأول لهذه الحملة وربما يكون صاحب هذه الفكرة [15] وترى إحدى الباحثات أن من العوامل التي ساعدت تنظيم الأسبتارية على الإقدام على ذلك الموقف هو امتلاك بعض المعاقل العسكرية القوية بالقرب من حدود مصر مثل قلعة بيت جبرين **Bethjibelin** [16] هذا فضلا عن قبول التنظيم خوض غمار معارك جديدة ضد المسلمين لاعتبارات سياسية وعسكرية والرغبة في تكوين قوة منافسة لتنظيم الداوية من خلال دعم النشاط العسكري للمملكة الصليبية ، وقد أدت جميعها دور أساسيا في التحالف العسكري مع الملك املريك [17].

أما موقف تنظيم الداوية من هذا المشروع فقد كان مخالفاً تماماً لموقف الأسبتارية منه فقد رفض الاشتراك في الحملة العسكرية العدائية ضد مصر التي

شاركت فيها عناصر تنظيم الأسبتارية معتبرة انه من الخطأ نقض المعاهدة المبرمة مع مصر أو ربما لمجرد مخالفة سياسة الأسبتارية لما أصبح عليه التنظيمان من تنافس وعداء [18] ويضيف ماير سببا آخر لمعارضة الداوية لمثل هذا المشروع التزاماً منهم بالمعاهدة ولمصالح مالية و اقتصادية في مصر [19] ولذلك عد أحد المؤرخين المحدثين هذا الموقف من عناصر تنظيم الداوية بمثابة خسارة كبيرة لقوة الغزو الصليبي آنذاك[19].

وكان لجيبرت مقدم تنظيم الأسبتارية دور فاعل في تنفيذ السياسة الصليبية فقد تمكن من إقناع الملك املريك بتجهيز حملة صليبية ضد مصر ، وكان المحرك الأول لهذه الحملة وربما يكون صاحب هذه الفكرة ، وقد عمل جيبرت على تجنيد عدد كبير من المقاتلين بمساعدة الملك املريك ففي تنفيذ مشروعه مما أدى إلى إرهاق خزينة التنظيم، ولم يكتفي جيبرت بذلك بل أنه اقترض الأموال لتعبئة المشروع وفي مقابل هذه المساعدة وعد الملك املريك مقدم الأسبتارية بان تكون مدينة بلبيس [21] وما حولها من نصيب الأسبتارية في حالة نجاح المشروع الصليبي [22] وكانت تلك المناطق كافية لان تنتج سنوياً دخل يقدر بنحو مائة ألف بيزنت [23] فضلاً عن منح التنظيم خمسين ألفا من البيزنت الإضافية ، ونصت الاتفاقية على أحقية تنظيم الأسبتارية في امتلاك العديد من المدن المصرية الأخرى مثل دمياط والإسكندرية [24].

وبناء على ما تقدم انطلقت الحملة في بداية سنة 558هـ/1162م ، وقد تمكن الجيش الصليبي من الوصول إلى الحدود وتوجه نحو مدينة بلبيس واقتحمها بعد حصار دام ثلاثة أيام ثم اتجه إلى القاهرة للاستيلاء عليها ، وقد سلم الملك املريك تنظيم الأسبتارية مدينة بلبيس وذلك تنفيذاً للاتفاق السابق بين الجانبين ، وقد دخل الملك املريك في مفاوضات بشأن الإتاوة السنوية وإزاء هذا التحدي الصليبي أرسل السلطان نور الدين زنكي قوة عسكرية برئاسة أسد الدين شيركوه في

نيسان 558هـ /1162م ، مؤلفة من ثمانية آلاف مقاتل ، أما الملك املريك اضطر إلى رفع الحصار عن مدينة القاهرة والانسحاب نحو بلاد الشام لسببين : الأول : ما واجهه من مقاومة باسلة لأهالي المدينة ، والثاني: وصلته الأنباء بقدوم النجدة الإسلامية لإنقاذ المدينة من السقوط بأيدي الصليبيين ، أما بلبيس فقد تركها تحت سيطرة فرسان الأسبتارية [25].

أما السلطان نور الدين زنكي فقد أراد شغل الصليبيين عن مصر فقام ببعض الهجمات على أملاكهم في بلاد الشام ، ولعل أهم محاولاته كانت ضد الصليبيين في حصن الأكراد [26] فعندما اتجه لمهاجمة إمارة طرابلس الصليبية عزم على إسقاط ذلك الحصن [27] لاسيما أن حصن الأكراد كان المقر الرئيس لعناصر فرسان الأسبتارية [28] .

ومن العوامل التي شجعت السلطان نور الدين زنكي على مهاجمة تلك الإمارة في ذلك الوقت بالذات ما است ــ شعره من فتــ ور العلاقــ ات بـ ين ريمـ وند الثـالث **Raymond III** [29] أمير طرابلس (547-583هـ/1152-1187م) والإمبراطور البيزنطي مانويل الأول **Manuel I** (538-576هـ/1143-1180م) بعد قيام الأول بمهاجمة الأملاك البيزنطية لرفض الإمبراطور الزواج من أخته ميليسند **Melisend** [30] وقد أتجه السلطان نور الدين إلى مهاجمة الإمارة وبدء بتجهيز عملياته العسكرية ضدها ، وقد تصدى له ولقواته قوة عسكرية مشتركة من الصليبيين وكذلك البيزنطيون تحت قيادة قسطنطين كارلومان أمير قيليقيا الأرمينية ومجموعة من عناصر فرسان الداوية تحت قيادة جيبرت داسيلي [31] وفي الوقت الذي كان المسلمون قد خلدوا إلى الراحة في خيامهم وسط النهار من عناء المعارك التي خاضوها شن الصليبيون هجوماً عنيفاً مباغتاً مما أدى إلى إلحاق الهزيمة بقوات السلطان نور الدين زنكي فوقع في الأسر عدد منهم وتمكن الأخير من النجاة

بأعجوبة في الموقعة المعروفة بالبقيعة تحت حصن الأكراد ولجأ منها إلى حمص[32] .

وبعد خسارة السلطان نور الدين زنكي تحت حصن الأكراد أنظم إليه أمراء شمال الشام وأعالي الجزيرة وعملوا جميعاً على مهاجمة حصن حارم [33] التي كانت حصناً مخيفاً لحلب واحتلاله يعني فتح الطريق أمام المسلمين لاجتياح إمارة إنطاكية الصليبية [34].

وعندما علم الصليبيون بإنباء تجمع القوات الإسلامية أسرع أمراء طرابلس وأنطاكية وقوة من فرسان الأسبتارية والداوية لنجدة الحصن في 10 آب سنة 560هـ/1164م ، ولكن النصر كان حليف المسلمين واستسلمت حارم في 11 آب من السنة ذاتها ، وأتجه بعدها السلطان نور الدين قاصدا بانيانس [35] أما الملك املريك الأول فقد كان آنذاك يحاصر مدينة بلبيس وأستمر حصاره لها ثلاثة أشهر فلما علم باستيلاء نور الدين على حارم وسيره إلى بانيانس أسرع إلى عقد معاهده صلح مع القائد أسد الدين شيركوه ثم عاد إلى القدس في نوفمبر من السنة ذاتها ليجد أن السلطان نور الدين قد استولى على حارم وبانيانس ، وأسر كبار أمراء الصليبيين وبذلك تبدد حلم تنظيم الأسبتارية مؤقتاً في امتلاك أجزاء من مصر[36].

وبقيام الحملة الثانية التي أرسلها السلطان نور الدين زنكي في كانون الثاني سنة 563هـ/1167م إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه لمساندة الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله (556-567هـ/1160-1711م) ضد استبداد الوزير شاور قام شاور بالاستنجاد بالصليبيين ، فوصل الملك املريك إلى مصر في 2 شباط من السنة ذاتها ومعه 374 فارساً وقوة كبيرة من التركبولية [37] فانظم شاور إلى حلفائه واتخذوا مواقعهم في مواجهة شيركوه على الضفة الشرقية للنيل ، وقد تعهد شاور بدفع أربعمائة ألف دينار في حالة بقائهم حتى رحيل شيركوه على أن يدفع نصف المبلغ مقدماً [38] ويذكر أبو شامة أن شاور ضمن لاملريك أن يدفع له ألف دينار

عند كل مرحلة [39] يرحلها إلى مصر ، كما ((قرر شيئاً لقضيم دوابهم وشيئاً للاسبتارية)) [40] وكان من البديهي أن يرحب الصليبيون بهذا العرض المادي المغري وبالاتفاقية التي تجعل منهم حماة على مصر والدولة الفاطمية وتبعد خطر أسد الدين شيركوه لكونه المنافس الوحيد لهم في السيطرة عليها [41] .

وبنــاءً على ذلك خ ــرج المــلك امــلريك من مديــنة عسقلان إلى مصر قاطعاً 27مرحلة تقاضى عنها 27 ألف دينار ، وقام بالاشتراك مع شاور بمحاصرة شيركوه في بلبيس لمدة ثمانية أشهر، أما السلطان نور الدين زنكي فانه هاجم أملاك الصليبيين في بلاد الشام ونجح في الاستيلاء على بعض المعاقل العسكرية لتنظيمي الأسبتارية والداوية في بلاد الشام مثل قلعة صافيتا **Chastel-Blanc** [42] كما هاجم حصن المنيطرة [43] ودمر الأراضي الواقعة حول عرقة [44] ثم سار جنوباً ليهدد قلعة هونين [45] **Chateau Neuf** [46] .

وإزاء هذه التحركات السريعة التي قام بها السل ــطان نــور الــدين زنــكي فــي أراضي الصليــبيين أدرك بوهــيمند الثالــث **Bohemond III** أمــير أنطاكـية (559-598هـ/1163-1201م) أهمية تأمين حدوده الشرقية ، لذلك اتبع نفس السياسة التي كان قد اتبعها ق ــبله ريمــوند الثاني **Raymond II** أمير طرابلس (532-547هـ/1137-1152م) سنة 537هـ /1142م وهي تسليم القلاع والحصون المهمة التي تقع على حدود المسلمين إلى تنظيمي الأسبتارية والداوية ، وهي القوة الوحيدة التي أصبحت قادرة على القيام بهذه المهمة آنذاك، لذلك سلمه بوهيمند قلعة أبي قبيس [47] وأفامية [48] التي كانت تحت سيطرة السلطان نور الدين حتى سنة 544هـ/ 1149م ، كما أن الملك املريك الذي كان وصيا على إمارة طراباس أثناء أسر أميرها ريموند الثاني سلم للاسبتارية حصن عرقة ومنذ ذلك الوقت أصبح هذان التنظيمان الأسبتارية والداوية يقومان بمهمة الدفاع عن معظم حدود إمارتي أنطاكية وطرابلس [49].

أما موقف الملك املريك في مصر فقد انتهى بعقد صلح مع شيركوه تقرر فيه أن يعود كلا الجانبين إلى بلاده فعاد شيركوه، أما الملك املريك فقد رجع بعد أن فرض على مصر إتاوة سنوية قدرها مائة ألف دينار [50] وبذلك عاد الملك املريك من حملته الفاشلة على مصر بفكرة أن هذه البلاد سهلة المنال لولا وجود السلطان نور الدين زنكي الذي ظل يهدد الأراضي التي احتلها الصليبيين كلما سنحت له الفرصة مستغلاً غيابهم عنها لمهاجمة مصر ، ولذلك فان الملك املريك قرر أن يقوم بهجوم سريع وخاطف على مصر بحيث لا يعطي الوقت لتحركات السلطان نور الدين زنكي .

وقد تلقى الملك املريك في هذه المرة أيضاً الدعم والمساندة من مقدم الأسبتارية جيبرت داسيلي الذي طلب من التنظيم أن يقدم للملك كل ما لديه من إمكانيات مادية وبشرية لضمان نجاح المشروع الصليبي فضلاً إن جيبرت سافر بنفسه سنة 563هـ/ 1167م إلى الغرب الأوربي ليطلب قرضا من مدينتي جنوه وفلورنسا، ومن جانب آخر عقد الملك املريك وتنظيم الأسبتارية اتفاقية مشتركة قبل قيـام الحـملة علـى مصـر بحوالي أسبـوعين وتحـديدا في 11تشرين الأول سنة 564هـ /1168م ، وقد نصت على بنود عده أولها : أن يضع التنظيم تحت إمرة الملك املريك خمسمائة فارس بأسلحتهم وخمسمائة تركبولية في مقابل ذلك يمنح الملك للتنظيم مدينة بلبيس وما حولها فضلاً عن منح التنظيم للملك خمسة الآلف بيزنت ، ثانيها : كما نصت الاتفاقية على أن يكون للتنظيم الحق في ملكية عشرة مدن مصرية رئيسة هي : تنيس ودمياط و الفرما والمحلة والإسكندرية وقوص وأسوان والبهنسا واطفيح والفيوم بشرط أن يكون للتنظيم نصيب في كل الضرائب المفروضة على الأراضي التي يستولي عليها الصليبيون في مصر في حالة نجاح المشروع الصليبي . وثالثها: نصت الاتفاقية على أن يكون للتنظيم النصيب في الغنائم ، أما

في حالة اشتراك فرسان التنظيم في حملة منفردين فان الغنيمة بأكملها تكون من نصيب التنظيم باستثناء المعارك التي يشترك فيها الملك شخصياً [51].

أما عن موقف تنظيم الداوية فقد كان ومنذ البداية يعارض فكرة الغزو الصليبي لمصر فقد ظل يعارض هذا المشروع الصليبي ، كما عارض المعاهدة التي عقدت بين الملك املريك والإمبراطور البيزنطي مانويل الأول سنة 563هـ/1167م بشان تجهيز حملة مشتركة ضد مصر ، وقد عد تنظيم الداوية هذا المشروع فيه الكثير من التهور والمخاطر لان قوات شيركوه كانت تحتشد في دمشق وتهدد الصليبيين من الجانب الأخر كما أدرك فرسان التنظيم صعوبة الطريق إلى مصر لاحتوائه على صحاري وقنوات مائية ، وفوق ذلك كله وجد فرسان التنظيم إن نقض الملك املريك للمعاهدة التي عقدها مع مصر سوف تثير الرأي العام الإسلامي ضد النصارى جميعا [52].

وتقول مقامي في هذا الصدد أن الداوية رفضت مشروع غزو مصر بحجة أنه إذا تم للصليبيين الاستيلاء على مصر فإنهم لن يتمكنوا بحال من الأحوال من المحافظة على هذا الإنجاز ، كما إن غزو الصليبيين لمصر سوف يكون في المستقبل القريب آنذاك لصالح السلطان نور الدين زنكي لان ذلك سوف يعطيه فرصة الاستيلاء عليها كما كان غزو الصليبيين لدمشق فيما سبق في صالح والده عماد الدين زنكي [53] على أن هذه الأسباب التي سقناها تبدو غير مقنعة والراجح ما ذكره رنسيمان أن

الداوية عارضوا توجيه حملة ضد مصر بدليل إنهم صرحوا علناً بأنهم لن يشتركوا فيها ولعل معارضتهم ترجع إلى أن الأسبتارية كانوا قد قرروا مسبقا أن تكون بلبيس والفرما نصيبهم مع حالة نجاح الحملة مقابل قلعة غزة التي كانت بيد الداوية الذين

ارتبطوا من الناحية المالية بالمسلمين والتجار الايطاليين الذين زادت تجارتهم مع مصر على تجارتهم مع بلاد الشام [54].

وكـــــان فيليب ميلي Philippe Milly مقدم تنظيم الداوية (565 –567هـ / 1169 –1171م) من اشد المعارضين والرافضين لفكرة غزو مصر، وقد أعلن صراحة انه لن يشترك في هذا المشروع ، ورغم أن البارونات المحليين انضموا لتنظيم الداوية إلا أن الملك املريك لم يكترث للأمر ، كما أنه لم ينتظر وصول الإمداد الذي وعد به حليفه الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول بل انه قام بحملته على مصر وحده ومعتمداً اعتمادا كلياً على القوة العسكرية لتنظيم الأسبتارية [55] .

وقد تمكن الجيش الصليبي بقيادة الملك املريك من الوصول إلى مدينة بلبيس في 3تشرين الثاني سنة 564 هـ / 1168م ، واستطاع الصليبيون دخولها وارتكبوا فيها مذبحة مروعة وسبوا النساء والأطفال[56]ثم قام بعدها الملك املريك بمنح مدينة بلبيس لتنظيم الأسبتارية طبقاً لبنود الاتفاقية بين الجانبين التي اشرنا إليها أنفاً ، فوضع التنظيم بها حامية عسكرية قوية تتولى مهمة الدفاع عنها ضد أي خطر إسلامي ، ثم توجه فرسان التنظيم مع الملك املريك إلى القاهرة للاستيلاء عليها وإزاء هذا الأمر أقدم شاور على أمرين ، الأول : إتباع سياسة الأرض المحروقة فاصدر أوامره بإحراق مدينة الفسطاط لإيقاف نشاط الصليبيين مؤقتاً في مصر وكي لا يستفيد منها الصليبيين عند احتلالها ، والثاني :لجأ إلى مراوغتهم في مفاوضات الصلح حتى وصل الجيش الإسلامي بقيادة شيركوه في 17 كانون الأول من السنة ذاتها ، وعندما علم الملك املريك بوصول الجيش الإسلامي أضطر إلى الانسحاب بالجيش في 2كانون الثاني من السنة ذاتها متجهاً إلى بلاد الشام وفي ذلك يذكر ابن الأثير ((فلما اقترب (شيركوه) مصر رحل الفرنج عنها عائدين إلى بلادهم بخفي حنين خائبين مما أملوا وسب ملكهم كل من أشار عليه بقصد مصر)) [57] ويتضح

لنا من هذا النص أن الملك املريك أدرك أن اندفاعه وتهوره ومسايرته لرأي فرسان الأسبتارية وتحمسهم لغزو مصر لم يجلب له ولجيشه إلا الوبال الوخيم وفقدان الكثير من ممتلكاته ببلاد الشام التي استولى عليها السلطان نور الدين زنكي أثناء غيابه وانشغاله بمهاجمة مصر .

وعلى الرغم من هذه الخسائر الفادحة التي تكبدها الصليبيون في حملاتهم العسكرية على مصر ألا إن املريك ظل يحلم بامتلاك هذه البلاد الغنية لاسيما أن الصليبين بدأوا يشعرون بالخطر يتهدد دولتهم منذ أن استولت قوات السلطان نور الدين زنكي على مصر ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف قام بإرسال الرسل إلى الغرب الأوربي لطلب العون والمساعدة لتنفيذ مشروعه الكبير ، غير إن هذه السفارة لم تلق أذاناً صاغية لانشغال ملوك أوربا آنذاك بمشاكلهم الخاصة بهم، أما حليفه الأخر الذي لم يحقق هدفه هو مقدم الأسبتارية جيبرت داسيلي أرسل هو الآخر الرسل إلى الغرب الأوربي دون جدوى[58] فما كان منه إلا أن لجأ إلى الحل الوحيد الممكن تحقيقه وهو إعادة توثيق التحالف مع الدولة البيزنطية من أجل غزو مصر وأملاً في توريطها في حرب شاملة مع السلطان نور الدين زنكي لكي يخفف الضغط عن الجهات السورية [59].

ناهيك أن الملك املريك كان يرى في سياسة الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول عداء للصليبيين لا يقل عن عداوة المسلمين وقد وضح موقفه هذا في الرسالة التي بعث بها إلى الملك الفرنسي لويس السابع (532- 576هـ/1137/1180م) في بداية حكمه لمملكة بيت المقدس الصليبية يطلب فيها المساعدة والنجدة ضد عدوان السلطان نور الدين والإمبراطور البيزنطي مانويل والإمارات الصليبية ولكن الرأي العام في الغرب الأوربي كان قد صم أذنيه بعد الفشل الذريع الذي منيت به الحملة الصليبية الثانية سنة542هـ/1147 م ، وبهذا لم يتلق املريك رداً مطمئناً رغم استنـجاداته المتكررة ، وهنا أخذ الم ــلك املريك يتملق للعاهل البيزنطي ويخطب

وده [60] ولذلك أقدم الملك املريك على الزواج من الأميرة ماريا كومنين **Maria Comnen** وقد أثمرت هذه المصاهرة الاجتماعية إلى قيام تعاون سياسي عسكري بين الجانبين ، كما ازدادت الروابط بين بيزنطة والصليبيين عندما تزوج الإمبراطور مانويل الأول من ماريا وريثة عرش إمارة أنطاكية في 25كانون الثاني سنة 557هـ/1161م من أجل ربط الإمارة الصليبية بالدولة البيزنطية ، كما تزوج الأمير بوهيمند الأنطاكي ابنة أخ الإمبراطور البيزنطي ثيودورا [61] .

وقد توطدت العلاقات بين الصليبيين والبيزنطيين عندما تعاون الملك املريك مع الإمبراطور مانويل الأول واتفقوا على غزو مصر ، وكان ذلك بمساعدة تنظيم الأسبتارية ، وقد أراد مقدمها جيبرت داسيلي هذه المرة ضمان حقه في الغنيمة تعويضا لخسائره ومصروفاته الباهضة لإتمام الحملة ، فقد وقع اتفاقية جديدة مع الملك املريك أقر فيها الملك ببنود الاتفاقية السابقة وأهمها منح بلبيس وما حولها لتنظيم الأسبتارية ، وقد أرسل الإمبراطور مانويل أسطولاً ضخما يقوده أندرونيك كونستفانوس ، ومر هذا الأسطول بجزيرة قبرص وهناك انضمت إليها ستون سفينة بحرية بيزنطية وتجمعت عند بلبيس القوى المتحالفة ومن هناك ابحرت نحو مدينة دمياط ، ثم رست السفن الصليبية البيزنطية على الساحل ونزل عسكرهم أمام أسوار دمياط التي حاصروها مدة خمسون يوما [62] وهناك من يقول ستون يوما [63].

وعلى الرغم من طوق الحصار إلا أن القوات المتحالفة اضطرت إلى الانسحاب ويعزا سبب ذلك إلى قلة المؤن وفيضان نهر النيل وتساقط الأمطار عدة أيام متصلة وهبوب عواصف شديدة أغرقت الكثير من سفن الأسطول البيزنطي أمام السواحل المصرية ،فضلا عن اختلاف القيادتين الصليبية والبيزنطية حول الخطط الإستراتيجية ، وبذلك فشلت في تحقيق هدفها في احتلال مصر ، وعاد الملك املريك إلى بلاد الشام في 19كانون الأول سنة 565هـ/1169م [64] ويرجع سبب فشل هذا المشروع الصليبي إلى أن الملك املريك وفرسان تنظيم الأسبتارية في هذه الحملة

وجدوا أن السلطان نور الدين زنكي قد هاجم المعاقل الصليبية في بلاد الشام واستولى على عدة مناطق مهمة منها حصن عرقة التابع للاسبتارية وهو الذي استولى عليه السلطان نور الدين في محرم سنة 567هـ/أيلول1171م[65].

وقد علق ابن الأثير على خسارة الصليبيين وفشل مخططاتهم في احتلال مصر قائلاً " ذهبت النعامة تطلب قرنين فعادت بلا أذنين " [66] أما بلدوين فقد عد فشل المشروع الصليبي انقلابا غير ميزان القوى في الشرق أنهى التسلط الصليبي على مقدرات مصر السياسية والاقتصادية في مقابل إتحاد المسلمين في مصر والشام مما أدى إلى إضعاف الوجود الصليبي وتقويضه [67] وليس ذلك فحسب أدى فشل الاعتداء على دمياط إلى تحول سياسة مملكة بيت المقدس الصليبية من حالة الهجوم إلى الدفاع في الوقت الذي أخذ الناصر صلاح الدين الأيوبي المبادرة فهاجم مواقع صليبية على الحدود المصرية الفلسطينية ومنها غزة لتخفيف الضغط عن مصر [68] .

ومما يجدر ذكره أن الصليبيين كانوا يلجئون دائما إلى الدولة البيزنطية في حالة ضعفهم كما أنهم كانوا يحملونها كل المسؤولية إذا أصابهم ضرر سواء أكان هذا الضرر داخليا أم خارجياً ، رغم أن الصليبيين كانوا يلجئون إلى الدولة البيزنطية حتى أواخر عهد الإمبراطور مانويل الأول سنة 576هـ/1180م إلا أن الصليبيين والغرب الأوربي كانوا يكرهون الدولة البيزنطية ، وقد زادت هذه الكراهية في المراحل اللاحقة لعهد الإمبراطور مانويل الأول كما أن البيزنطيين قد كرهوا الصليبيين لما كان لهم من نفوذ في البلاد البيزنطية [69].

أما عن تنظيم الداوية فقد كان له دور في أحداث هذه الحملة فقد كان على المستوى السياسي والدبلوماسي وليس المستوى العسكري والمشاركة الفعلية في ميادين القتال ، وتمثل ذلك في إرسال الملك املريك أود سان آمان **Eude st.Amand**

مقدم تنظيم الداوية (567-575هـ/ 1171- 1179م) في بعثة دبلوماسية إلى مدينة القسطنطينية من أجل التفاوض مع الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول للمشاركة في المشروع الصليبي المرتقب وقد أثمرت جهوده في توقيع معاهدة بشأن المساعدة البيزنطية (70) .

وعلى الرغم من هذا الدور الذي أداه مقدم تنظيم الداوية إلا أنه لم يشترك مع الملك املريك في تحالف عسكري على غرار تحالفه مع تنظيم الأسبتارية وقد ترتب على فشل المشروع الصليبي نشوب خلاف بين الحليفين ، فقد اتهم الملك املريك حليفه ومساعده مقدم تنظيم الأسبتارية جيبرت داسيلي بأنه كان السبب المباشر لفشل هذه الحملة ، كما أن جيبرت لم يسلم من جانب أعضاء التنظيم فقد ثاروا عليه وذلك لأنهم كانوا قد بنوا الآمال الكبيرة في إحراز مكاسب في مصر وبذلوا كل التضحيات من أجل تحقيق هدفهم المنشود ولكن النتيجة جاءت مخيبة لأمالهم ومغايرة لتوقعاتهم ولذلك ثاروا على مقدم التنظيم ، وعندما وجد جيبرت نفسه في موقف لا يحسد عليه اضطر إلى الاستقالة عن منصبه وذلك لأسباب عدة كان أولها : عد نفسه مسؤولاً عن ما حصل وأنه تسبب فعلاً في إرهاق خزينة التنظيم وجعلها مدينة بمبلغ مائتي ألف بيزنت ، ثانيها: كما أنه أتهم بتوريط التنظيم في مشاريع حربية بدون الرجوع إلى رأي المجلس الاستشاري الأعلى ، ثالثها : كذلك أتهم بأنه جعل التنظيم يتحمل أعباء كبيرة وفي مهمة الدفاع عن حدود إمارتي أنطاكية وطرابلس وكان زعيم المعارضة داخل تنظيم الأسبتارية هو الراهب بونز بلان **Pons Blan** والذي كان له طموح في تولي منصب المقدم بدلاً من جيبرت داسيلي . ومن أجل تحقيق هدفه حرض فرسان الأسبتارية على الثورة ضده كما وجه إليه اتهامات عديدة لا حصر لها وإزاء هذا الموقف قرر جيبرت أن يستقيل عن منصبه ، وأعقب هذا التصرف نزاع وانقسام داخل تنظيم الأسبتارية (71) .

وبناءً على ذلك يمكننا القول أن فشل المشروع الصليبي قد أدى إلى نتيجة مهمة وهي خيبة أمل فرسان تنظيم الأسبتارية في تحقيق مكاسب في مصر وهي المكاسب التي سعوا إليها ونصت عليها بنود الاتفاقية مخالفين بذلك قوانين التنظيم التي كانت تنص على أن يشترك أفراده في المعارك بدون أجر مادي ولكن مقدموا التنظيم ضربوا قوانين تنظيمهم عرض الحائط وليس ذلك فحسب بل أصبحوا يتصرفون كسادة إقطاعيين يمدون الملوك الصليبيين بالجند والسلاح في مقابل الحصول على مكاسب إقليمية سعت لتحقيقها .

وفي سنة 572هـ/1176م ، أتفق الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول مع الملك الصليبي بلدوين الرابع **Baldwin IV** (569-581هـ/ 1174-1185م) على قيادة حملة برية مشتركة ضد مصر ، وقد قرر فرسان تنظيم الأسبتارية الاشتراك في هذه الحملة من أجل إحراز مكاسب مادية تحت قيادة مقدمها جيرار جوبرت **Gerard Gobert** (569-573هـ/1172-1177م) الذي تمكن من عقد اتفاق مع الملك بلدوين الرابع حصل بموجبه على مرسوم تضمن الالتزام بتنفيذ الوعود التي قطعها الملك املريك الأول لتنظيم الأسبتارية في حالة نجاح المشروع الصليبي فضلاً عن امتيازات أخرى بلغت ثلاثون ألف بيزنت لصالح الأسبتارية في مصر غير أن هذه الحملة لم تتم بسبب تعثر المحادثات بين الجانبين الصليبي والبيزنطي (72).

كما أن مشروع اشتراك تنظيم الأسبتارية في الحملة الجديدة المرتقبة على مصر لم يتــــحقق وذلـك لان فيـليب كونت فلاندر **Philippe.count Flander** (73) رفض قيادة الحملة لأمرين ، الأول: أنه قال لم يقدم إلى فلسطين لاستلام السلطة ولم يخطط لها مسبقاً بل كان هدف زيارته ليؤدي الحج ، والثاني : أنه ليس بوسعه أن يضطلع وحده بهذه المسؤولية بل على العكس إذ كان يرغب في أن يكون حراً يعود إلى موطنه عندما تستدعيه ظروفه الشخصية ، وهكذا تبدد وضاع حلم الأسبتارية مرة أخرى في احتلال مصر (74) ويبدو لنا أن فرسان تنظيم

الأسبتارية أدركوا منذ ذلك التاريخ صعوبة تنفيذ مشروع غزو مصر ولذلك فقد تخلوا عنه جزئياً حالما تسنح لهم الفرصة المؤاتية في المستقبل القريب آنذاك .

وقد أدت محاولات الملك املريك الفاشلة ضد مصر إلى نتيجتين مهمتين تمثلت بتقليص الموارد البشرية والمادية لمملكة بيت المقدس الصليبية من جهة وتغير خريطة العلاقات السياسية لصالح القوى الدينية الإسلامية من جهة أخرى ، فقد قتل ضرغام شاور في خضم تلك الأحداث وصار أسد الدين شيركوه وزيراً للخليفة الفاطمي العاضد وبعد موت أسد الدين سنة 564هـ/1169م خلفه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي في الوزارة في خدمة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين ، وبذلك كان فشل مشروع املريك بشن حملة مشتركة مع البيزنطيين ضد مصر سنة 565هـ/1169م وحصارهم الفاشل لدمياط على مدى خمسين عاماً بمثابة الإعلان لمرحلة جديدة بطلها الناصر صلاح الدين[75] .

وقد تقلص دور التنظيمات الدينية العسكرية في حروب الصليبيين ضد مصر لاسيما بعد أن تغيرت سياسة الصليبيين في بلاد الشام خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وذلك لأنه لم يعد لهم فيها ممتلكات كثيرة وكذلك بعض القلاع والحصون الساحلية ولم تعد تواجههم مشكلة ترك قوات كثيرة وحاميات عسكرية قوية للدفاع عن أملاكهم ، ولذلك فأن حملات الصليبيين على مصر خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي قد تطلبت منهم وضع بعض الحاميات الصغيرة مهمتها توفير الحماية لما تبقى لهم من معاقل عسكرية أثناء انشغالهم بالغزو غير متخوفين على ممتلكاتهم الباقية في بلاد الشام ، كما كان الحال في عهد الملكين املريك وبلدوين الرابع أثناء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي [76] .

وقد كان لعناصر التنظيمات الدينية العسكرية دور حربي خلال أحداث الحملة الصليبية الخامسة وقاموا بدورهم في تعضيد ودعم المشروع الصليبي الذي

قاده حنا برين John Brienne (607-622هـ/1210-1225م) في حملته على مصر والتي كان قد دعا إليها البابا انوسنت الثالث III Innocent (595-612هـ/ 1198-1215م) إلا أن وفاته حالت دون قيادتها ولذلك نهض لزعامتها خلفه البابا هونوريوس الثالث III Honorious (612-624هـ/1215-1227م) على أثر انعقاد المؤتمر البابوي الرابع في كنيسة لاتيران في روما في 20رجب سنة 612هـ/11تشرين الثاني 1215م [77] الذي عقد أصلا للنظر في بعض شؤون الكنيسة ومسألة توحيد الكنيستين الشرقية والغربية فضلا عن الإعداد للحملة الصليبية وهو الهدف الرئيس لانعقاد المؤتمر الذي حضره كبار رجال الدين اللاتين وكبار العلمانيين من الشرق والغرب [78].

ويرى كاهن أن هذه الحملة تمثل اتجاها جديداً لمسار الحركة الصليبية إلى مصر بدلاً من الشام وذلك لأمرين ، الأول : أن احتلال الموانئ سيجعل منها بطاقة رابحة بيد الصليبيين للمقايضة واسترجاع بلاد الشام من المسلمين [79] أما الأمر الثاني : هو القضاء على الدولة الأيوبية في مصر لكونها مصدر القوة والزعامة والمقاومة وحصن الإسلام المنيع ومصدر الخطر الذي يتهدد دوماً قوى الصليبيين في الشام بفضل طاقاتها البشرية والاقتصادية [80] فضلا عن أطماع التجار الايطاليين الذين ساندوا المندوب البابوي بلاجيوس ووجهوا أنظارهم نحو مصر لموقعها الجغرافي على البحر المتوسط والبحر الأحمر وتحكمها في أهم طرق التجارة الهندية ، كما اعتقدوا أن بإمكانهم تحويلها إلى قاعدة تجارية تكفل لهم السيادة على تجارة العالم [81].

ومما يجدر ذكره أن الملك الصليبي حنا برين قبل دعماً مادياً ومعنوياً من جانب تنظيمات الأسبتارية والداوية والتيوتون [82] أثناء الإعداد للحملة ، وقد قام البابا بدفع أموال طائلة لمساعدة الصليبيين وكانت مهمة فرسان عذه التنظيمات جمع

الأموال اللازمة لاحتياج المشروع الصليبي المرتقب ، وبالفعل فانه بعد الدعم المالي الذي أسهمت به القوى الصليبية قام مقدموا تلك التنظيمات وكبار القادة بتوزيع هذه الأموال على أغراض الحملة المتعددة (83) .

وبعد أن أعـــد الصليـــبيين عدتهم وتكامل عددهم أبحروا في 27حزيران سنة 615هـ / 1218م وعلى رأسهم الملك الصليبي والأمراء ومقدموا تنظيمات الأسبتارية والداوية والتيوتون من ميناء عكا إلى مدينة دمياط (84) وقام الصليبيين عند وصولهم إليها بأول محاولة لاقتحامها ولكنها باءت بالفشل بسبب صمود أهلها واستبسالهم في الدفاع عنها ، عندئذ تبين للقادة الصليبيين بعد محاولتهم الأولى أن برج السلسلة هو العقبة الرئيسة التي تحول دون تقدم السفن الصليبية ويجب عليهم تذليلها ولذلك مهد فرسان الداوية سفينة شحنوها بثلاثمائة مقاتل ودفعوها للاصطدام ببرج السلسلة وتحطيمه غير أن محاولتهم الثانية فشلت أيضا في تحقيق هدفهم واضطر المهاجمون إلى التراجع تحت ضغط الحجارة والكتل النارية الملتهبة التي انهالت عليهم ، ثم كرر الصليبيون هجومهم للمرة الثانية بقيادة ليو بولد السادس دوق النمسا ومعه بعض الفرسان الأسبتارية وحاولوا تسلق أسوار المدينة مستخدمين السلالم المتحركة المثبتة على السفن وانفصلت عنهم قوة عسكرية هاجمت برج السلسلة لكن هذه المحاولة فشلت بسبب عدم تحمل السلالم ثقل القوات الصليبية المهاجمة فـضلا عن الكـتل النارية التي ألقاها المدافعون أبعدت الصليبيين عن البرج (85) .

وأثناء وجود تلك الحملة في مصر ومحاصرتهم دمياط توفي الملك العادل الأيوبي (596-615هـ/1199- 1218م) في 7 جمادي الآخرة / أواخر آب من السنة ذاتها فخلفه في الحكم أبناءه المعظم عيسى على مدن دمشق والقدس وطبرية والقلاع والحصون فيما وراء نهر الأردن والاشـــرف موسى عـــــلى بعـــــض المناطق في بلاد الجزيـــــرة وأرميـــــنية والمــــلك الكامل على

مصر (615-636هـ/1218-1138م) [86] وكرد فعل على العدوان الصليبي على مصر قام الملك الأشرف بمهاجمة الصليبيين في إمارة طرابلس فهاجم قلعة صافيتا وحصن الأكراد التابعـــان لتنظيم الأسبتارية فتمكن من هدم ما حولها وعاد إلى بلاده [87] بينما اشتبك الملك المعظم مع الصليبيين في القيمون [88] وأنتصر عليهم وقتل منهم عدداً كبيراً وأسر مائة فارس من تنظيم الداوية وأدخلهم القدس وإعلامهم منكسة في 29 آب من السنة ذاتها [89] كما تمكن من دخول مدينة قيسارية وهدم أسوارها ثم اتجه لمهاجمة حصن عثليث [90] ولكن فرسان الداوية تحصنوا به وقاوموا الهجوم الإسلامي مما أضطر المعظم إلى الانسحاب عنه عائداً إلى دمشق [91] .

أما في مصر فأن دور تنظيمي الأسبتارية والداوية يتلخص في المساندة الشديدة التي قدموها للمندوب البابوي بلاجيوس حتى إنهم ساندوه في رفضه لشروط معاهدة الصلح التي اقترحها الملك الكامل في سنة 616هـ/1219م مقابل جلائهم عن دمياط ، كما ساند فرسان هذان التنظيمان بلاجيوس في مسالة مهاجمة معسكر الملك الكامل والملك المعظم في فارسكو الواقعة على مسافة (12 كم) جنوبي دمياط ، رغم معارضة الملك حنا برين لهذا الرأي [92] كذلك كان دور التنظيمان واضحاً في مساندة بلاجيوس الذي لم يقتنع بأي عرض من عروض الملك الكامل فضلاً عن رفضه الإصغاء إلى آراء الملك حنا برين [93] الأمر الذي جعل الملك حنا برين يوافق على شروط معاهدة الصلح التي ضمت في بنودها أولاً : الانسحاب من دمياط والجلاء عن مصر ، ثانياً : عقد هدنة بين الجانبين مدتها ثماني سنوات ، ثالثاً: تبادل الأسرى بين الجانبين ، وبعد أن تم للملك حنا ما أراد انسحب عائداً إلى بلاده في 8 أيلول سنة 617هـ/1220م ، في الوقت الذي ظل باقي الصليبيين في مصر، وهكذا كان الفشل مصير الحملة الصليبية الخامسة بسبب العوارض الطبيعية والمقاومة الإسلامية وقلة المؤن والإمدادات الصليبية وعدم وجود قيادة موحدة إذ أصر بلاجيوس أن يكون هو القائد لكونه ممثلاً للبابا بينما عد حنا برين أن له

اسبقيه في القيادة [94] فضلا عن تأخر الإمبراطور الألماني فردريك الثاني II Friedrich (609-648هـ/1212-1250م) الذي دفعه البابا هونوريوس الثالث للمشاركة فيها [95].

ويقدم رنسيمان تفسيراً منطقياً للسبب الحقيقي الذي كان وراء فشل هذه الحملة بعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من النجاح وهو أن الجيش الصليبي لم يكن يضم في صفوفه قائد عسكري محنك يجمعون على احترامه ولو توفر ذلك لتم احتلال القاهرة وإسقاط الحكم الأيوبي في مصر فقد كان بلاجيوس رجلاً متغطرساً مجرد من اللباقة والكياسة وغير مقبول لدى الصليبيين وقراراته ارتجالية ،أما الملك حنا فعلى الرغم من فروسيته إلا أنه لم يكن من الشخصية والهيئة ما يهيؤه لقيادة جيش التحالف[96] ويرى زابوروف أن ضياع دمياط على الصليبيين ومفارقتهم مصر بدد جميع الآمال في استعادة الأراضي المقدسة، كما كلفت الحملة الغرب الأوربي ثمناً غالياً فضلاً أن إخفاق هذا المشروع أنزل ضربة جديدة بمكانة البابوية [97] .

على أن الموقف المتصلب والمتعنت للمندوب البابوي بلاجيوس ومساندة تنظيمي الأسبتارية والداوية له قاد الصليبيين جميعاً إلى موقف سيء للغاية ، فبعد أن كانوا يرفضون عروض الملك الكامل نجدهم وافقوا أخيرا على إتفاق الصلح بأي ثمن في مقابل الخروج من مصر والعودة إلى بلادهم بعد أن عانوا الهلاك في مصر، وأخيرا تم الصلح وأسترد المسلمون دمياط، ، وبهذا الصدد يذكر أبو الفدا أن بعض فرسان الأسبتارية والداوية حضروا مجلس الصلح [98].

أما بالنسبة للتنظيم الثالث إلى جانب تنظيمي الأسبتارية والداوية وهو تنظيم التيوتون ، فبعد تحرير الناصر صلاح الدين للقدس سنة 583هـ/ 1187م ، وقيام الحملة الصليبية الثالثة ظهرت الحاجة إلى مستشفى خاص للعناية بالصليبيين المتحدثين بالألمانية فقام التجار والبحارة الوافدون من

ألمانيا بتشييد مستشفى تم بناؤه من أخشاب السفن المحطمة وتحميه أقمشة الأشرعة من الشمس والمطر ، وتولى مجموعة من الفرسان والقساوسة الألمان إدارته وتقديم العمل الخيري وعلاج المرضى ولكن بعد ذلك بسنوات قليلة أصبحت المستشفى مؤسسة عسكرية تبلور فيها تنظيم التيوتون الذي مزج الأغراض العسكرية بالخدمات الخيرية [99] .

وقد كان لهذا التنظيم دورا فاعلا خلال الحملة الخامسة أكدته إحدى وثائق مملكة بيت المقدس الصليبية مؤرخة بسنة 616هـ/1219م ، بعث بها الملك حنا برين إلى هـــرمان فون سالزا **Herman Von Salza** مـــقدم تنـــظيم التيوتون (608-637هـ/1211- 1239م) يؤكد فيها على تسلم نصيب كبير من الغنائم والأسلاب التي تمكن الصليبيون من استلابها والاستيلاء عليها خلال الحملة الصليبية الخامسة على دمياط[100].

وعلى الرغم من المقاومة الباسلة لأهالي دمياط ضد هجوم الصليبيين إلا أنها سقطت أخيراً في أيديهم في 25شعبان سنة 616هـ/5 تشرين الثاني سنة 1219م ، وقد كان فرسان الداوية في مقدمة القوات الصليبية التي تمكنت من اقتحام المدينة ودخولها، ولكن سرعان ما نشب النزاع بين الصليبيين حول الغنائم التي حصلوا عليها مما أضطر البابا هونوريوس الثالث إلى إرسال خطاب إلى مقدمي التنظيمات الدينية العسكرية يحثهم على نبذ الخلاف بينهم والتوحد لمواجهة المسلمين ، وقد أدى هذا الموقف المتصلب إلى فشل مشروعهم وليس ذلك فحسب بل وقع معظم قادتهم في أسر المسلمين وكان من بينهم مقدموا التنظيمات الدينية العسكرية ، وعندما تم الاتفاق فيما بعد بين الملك الكامل الأيوبي والصليبيين على عقد هدنة تمردت تلك التنظيمات على الاتفاق [101] غير أن ذلك التمرد لم يؤد بهم إلى نتيجة لإنهاء الملك الصليبي[102] وبموجـــب هذه الهـدنة تم جلاء الصليبيين عن دمياط في 7 أيلول

سنة 618هـ /1221م دون أن يحصلوا على أية مكاسب سواءً في مصر أو في القدس [103] .

وهكذا أصبحت التنظيمات الثلاثة تحكم العالم الصليبي في القرن 7هـ/ 13م ، وبينما كانت الأسبتارية والداوية يحافظون على هويتهم العالمية صار لتنظيم التيوتون الأداة الفولاذية للتوسع الألماني وشارك الفرسان التيوتون كما هو الحال بالنسبة لفرسان التنظيمين الآخرين في جميع المعارك والحملات العسكرية الصليبية في الأراضي المقدسة [104] .

وقد ظهر دور هام للتنظيمات الدينية العسكرية خلال أحداث الحملة الصليبية السابعة التي قادها الملك الفرنسي لويس التاسع **Louis IX** (623-669هـ/ 1226-1270م) ضد مصر سنة 647هـ/1249م أثناء عهد أخر حاكمها الملك الصالح نجم الدين أيوب (638-647هـ/1240-1249م) [105] وقد أشترك فرسان تنظيم الداوية مع جيش الملك الفرنسي مشاركة فعالة ، وكان هذا الملك يثق في هذا التنظيم ثقة كبيرة ومن كفاءتهم بقيادة الجيش لدرجة إنه أصر على حد قول جوانفيل مؤرخ الحملة ومرافق الملك لويس التاسع على تشكيل جيش يتألف من ثلاثة أقسام ، يقود مقدمته أو قسمه الأول فرسان الداوية ، وأن يقود القسم الثاني أخوه الكونت أرنوا ، أما القسم الثالث يقوده الملك بنفسه وقد قام هذا الجيش بعبور نهر أشموم في 4 ذي القعدة سنة 648هـ/8 شباط سنة 1250م ، وقد أنقسم رأي القادة الصليبيين حول الهجوم فقد رأى الكونت أرنوا أن يتقدم بقواته نحو مدينة المنصورة [106] دون انتظار قوات أخيه الملك لويس التاسع ، بينما حاول وليم سوناك **William Sonnac** مقدم تنظيم الداوية (642-648هـ/1244-1250م) أن يثنيه عن خوض غمار المعركة قبل وصول باقي الجيش الصليبي ، غير أن الكونت صمم على موقفه مما أرغم الداوية على السير معه حتى دخلوا جميعاً المنصورة فكان لهم المماليك بالمرصاد

واستطاعوا محاصرة فرسان الداوية في شوارع المدينة الضيقة وقتلوهم عن أخرهم قدر عددهم نحو 300 فارس فضلاً عن مقتل الكونت أرنوا [107] ويتضح لنا أن فرسان التنظيمات الدينية العسكرية الأسبتارية والداوية قد اشتركوا في حملة الملك الفرنسي لويس التاسع ضد مصر ولكن يبدو أن فرسان تنظيم الداوية كان لهم وضعاً خاصاً أكثر من فرسان تنظيم الأسبتارية لدى الملك لويس بدليل أنه اختار تنظيم الداوية لقيادة مقدمة الجيش الغازي .

ولم تقف الأمور عن هذا الحد فعلى الرغم من الخسائر البشرية الفادحة التي مني بها تنظيم الداوية إلا أن مقدمها وليم سوناك عاد من جديد بعد مرور ثلاثة أيام على معركة المنصورة إلى الاشتباك مع المسلمين في معركة أخرى جرت وقائعها في 7 ذي القعدة / 11شباط من السنة ذاتها كانت نتيجتها هزيمة الصليبيين ومقتل وليم سوناك فضلاً عن عدد من الفرسان الذين اشتركوا معه في القتال [108].

وبعد إجهاض المشروع الصليبي في المنصورة أظهرت الأحداث مدى جشع تنظيم الداوية الذي بلغ آنذاك مبلغاً كبيراً من الثراء وسعى لتحقيق مكاسب مادية دون الاهتمام بمصالح الصليبيين فقد رفض التنظيم ان يدفع فدية الملك لويس التاسع عندما وقع أسير في أيدي المسلمين في المنصورة على الرغم من أن خزائن التنظيم كانت مليئةً بالأمـوال الطائلة [109] كما رفـض التنظيم دفع فدية كون ـت بواتيه وقيمتها 200 ألف بيزنت ، ومما يؤكد صحة هذه الحوادث ما ذكره شاهد عيان من صفوف الصليبيين وهو جوانفيل الذي ذهب بنفسه إلى تنظيم الداوية وأخذ من خزينته الأموال اللازمة بالقوة مما أضطر رينو فيشيه **Renaud Vichier** مقدم تنظيم الداوية (648-649هـ /1250-1251م) إلى إعطائها له بشرط أن يتقاضى التنظيم في مقابل ذلك تعويضاً ماليا من أموال الملك الصليبي في مدينة عكا [110].

وفي ختام البحث لا بد من الإشارة إلى أن التنظيمات الدينية العسكرية أدت دوراً حربياً مع الصليبيين ضد مصر الإسلامية وخاضت معارك عديدة عنيفة ضد

المسلمين وتمكنت من تحقيق الأهداف التي انيطت بها والتي سعت إليها من أجل خدمة المشاريع العدوانية الصليبية في الأراضي الإسلامية ، وعلى الرغم من دورها الحربي الذي أطال الوجود الصليبي لمدة قرنين من الزمن إلا أنها أسهمت في إضعاف دولة الاحتلال الصليبي بسبب الانقسام والتصارع على المكاسب بين التنظيمات المتنافسة كالأسبتارية والداوية والتيوتون فضلاً أنها كانت في معظم الأحيان تفضل مصالحها وأهدافها الخاصة على الصالح الصليبي العام بدليل تحولها وخاصة الداوية إلى جمع الأموال والثروة حتى أصبح عناصرها صيارفة أوربا آنذاك مما يدل على الإفلاس الأيديولوجي لتلك التنظيمات التي قامت على مبادئ الرهبنة والفروسية .

هوامش البحث

(١) فوشيه الشـــارتري ، تاريخ الحملة إلى القدس ، ترجمة : زياد العسلي (عمان : 1990م) ،ص 111، 162 –163 ؛عز الدين م ـــحمد بن محمد بن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق :خليل مأمون شيحا (بيروت : 2002م) ،ج9، ص584.

(2) محمد بن محمد بن العماد الكاتب الأصفهاني ، حروب صلاح الدين الأيوبي وفتح بيت المقدس المسمى الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين (بيروت : 2003م) ، ص31 .

(3) عـــــبدالعـــ زيز سـ الم ، دراسة فـــ ي تاريـــــ خ الأيوبيـــــ ين والممـــــــاليك (الإسكندرية : 1997م) ، ص140.

(4) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تعزي بردي ، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة : تحقيق جمال الشيال (القاهرة : د.ت) ، ج2 ،ص297 ، 377 .

(5) عسقلان : مدينة تقع في أقصى الجنوب الفلسطيني بين مدينه غزة وقلعة بيت جبوين احتلها الصليبيين سنة 548هـ/ 1153م وحررها الناصر صلاح الدين الأيوبي سنه 583هـ / 1187م.
ينظر : شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي ، معجم البلدان (بيروت : 1957م) ج4،ص122، وهنالك دراسة مفصلة عن هذه المدينة . ينظر : مصعب حمادي نجم الزيدي ، عسقلان والحروب الصليبية (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل : 2001م) .

(6) العماد الأصفهاني ، حروب صلاح الدين، ص31 .

(7) العماد الأصفهاني ، حروب صلاح الدين ، ص 31 ؛ مارشال بلدوين " الدويلات اللاتينية تحت حكم بلدوين الثالث وعموري الاول " ، ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية ، تحرير : كينيث سيتون (عمان : 2004م) ج1 ،ص206 .

(8) ابن الأثير ، الكامل ، ج 9 ،ص163-164 ؛ نيكتا إيليسيف ، " المملكة اللاتينية في القدس " منشور ضمن كتاب الصراع الإسلامي الفرنجي على فلسطين، تحرير: هادية دجاني (بيروت : 1994م) ، ص239 .

(9) العماد الأصفهاني، حروب صلاح الدين ، ص31 .

(10) تاريخ الحروب الصليبية الاعمال المنجزة فيما وراء البحار ، تحقيق : سهيل زكار (بيروت : 1990م) ج2 ، ص878 - 879 .

(11) تنظيم الاسبتارية: يعد من أقدم التنظيمات الدينية العسكرية التي شهد الوجود الصليبي في بلاد الشام قيامها ، ويعود الفضل في تأسيسه إلى مجموعة من تجار مدينة أمالفي الايطالية وذلك عندما قاموا في سنة 473هـ/ 1080م بإنشاء مستشفى للعناية بالحجاج النصارى الغربيين القادمين إلى الأراضي المقدسة ، وكان إسلوب حياتهم قائما على مبادئ الفقر والعفة والطاعة بل ونذروا أنفسهم لقتال المسلمين .

ينظر : محمد مؤنس عوض ،تاريخ الحروب الصليبية في مملكة بيت المقدس اللاتينية (عمان :2004م) ،ص31-35 .

(12) الصوري ، تاريخ الحروب ، ج 2 ، ص888 ؛ عوض ، تاريخ الحروب ، ص118-119 ;

W.B . Stevenson ,The Crasaders in the East (Cambridge : 1965) P.186 .

(13) علي محمد الصلابي ، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس (بيروت :2008م)،ص29.

(14) تنظيم الداوية : هو تنظيم خيري أطلق على جماعة فرسان المعبد ، وقد أسسه هيو باينز Hugh Payns ، في سنة 512هـ/ 1118م، لحماية طريق الحجاج النصارى بين مدينتي يافا والقدس ثم تحول إلى منظمة عسكرية كان لها دور كبير في إرهاب المسلمين وقتلهم مساندة الحملات الصليبية على بلاد الشام ومصر . ينظر : عوض ،تاريخ الحروب ،ص39-40 .

(15) حامد غنيم أبو سعيد ، الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، ط 2(القاهرة : 1984م)، ج2،ص61.

(16) قلعة بيت جبرين : شيدها الصليبيين في عهد الملك فولك الانجوي سنة 531هـ / 1136م على مسافة (24كم) شرقي مدينة عسقلان على الطريق الممتد من عسقلان إلى الخليل وكان الغرض من تشييدها تأمين حدود مملكة بيت المقدس من الجهة الجنوبية ضد هجمات حامية عسقلان الفاطمية . ينظر: الصوري ، تاريخ الحروب، ج2 ،ص683 ;

Stevenson,TheCrusaders,P.136 .

(17) نبيلة إبراهيم مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي (القاهرة :1994م) ، ص42 .

(18) الصوري ، تاريخ الحروب ، ص119 .

(19) هانز إبرهارد، تـــاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة و تعليق : عماد الدين غانم (ليبيا:1990م) ، ص180.

(20) عوض ، تاريخ الحروب ،ص119.

(21) بلبيس : مدينة بينها وبين مدينة الفسطاط عشرة فراسخ على طريق الشام . ينظر: ياقوت الحموي معجم البلدان ، ص 479 .

(22) سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية (القاهرة : 1963 م) ، ج2،ص683.

(23) البيزنت أو البيزنط : عملة ذهبية بيزنطية سميت بهذا الاسم نسبة إلى مدينة بيزنطة (القسطنطينية) وكانت هذه العملة متداولة بكثرة في العصور الوسطى حتى منتصف القرن 7هـ/ 13م ، وهي تعادل ثلاثة ونصف غرام من الذهب .ينظر: جوزيف نسيم يوسف، العدوان الصليبي على مصر هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكو ط2(بيروت :1981م) ، ص216 ، هامش رقم (2)

(24) عوض ، تاريخ الحروب ، ص119

(25) الصوري ، تاريخ الحروب ، ج2، ص928 – 936.

(26) حصن الأكراد : وهو حصن منيع أقيم على جبل الجليل المتصل بلبنان ويقابل حمص من جهة الغرب، وقد أحتله الصليبيون سنة 503هـ/ 1109م ، وبقي في أيديـهم حتى تم تحريره في عهد السلطان الظاهر بيبرس .ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص264. وهناك دراسة مفصلة عن هذا الحصن. ينظر: مصعب حمادي الزيدي ، "حصن الأكراد ودوره في الصراع الإسلامي – الصليبي " (مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، الموصل : 2008 م) ،ع4 ، ص241–265 .

(27) ابن الأثير ، الكامل ، ج9 ، ص179 ؛ عبدالرحمن بن إسماعيل أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (بيروت: د.ت) ج1، ص127 ؛ أحمد بن محمد بن خلكان ، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس (بيروت : د.ت) ،ج5،ص187

(28) R. Fedden , Robin and John Thomson , Crusader Castles (London:1957), P. 89

(29) ريموند الثالث : هو أبن ريموند الثاني أمير طرابلس تولى حكم الإمارة بعد مقتل أبيه على أيدي الباطنية سنة 547 هـ/ 1152م ، وأستمر في حكمها حتى وقوعه أسـيراً بأيـدي المسلمـين سنة559هـ/1163م ، وبعد أن أطلق سراحه سنة 567هـ/1171م عاد إلى طرابلس ليواصل حكمه من جديد غير أنه لم يبق فيها سوى مدة قصيرة إذ أتجه إلى القدس وأصبح وصياً على الملك الصغير بلدوين الرابع وظل في منصـبه حتى سـقوط مملكة بـين المقـدس الصـليبية سنة 583 هـ/ 1187م وللمزيد من التفاصيـل والمعـلومات عـن هذه الشخصية .ينظر :

Marshall Whithed Baldwin , Raymond III of tripolis and the Fall of Jerusalem (NewYork:1936)

(30) ميلسند: هي كبرى بنـات بلدوين الثـاني ملك ممـلكة بيت المقدس الصليبية (512- 526 هـ/ 1118- 1131م) تزوجت من الملك فولك الانجوي سنة 522هـ/ 1128م ، وبعد وفاته سنة 538هـ/1143م ، تولت حكم المملكة الصليبية وصية على أبنها بلدوين الثالث الذي ما أن بلغ سن الرشد حتى دخل في نزاع مع والدته حول العرش وفي نهاية الأمر اضطرت إلى التنازل عن الحكم

والاحتفاظ بمدينة نابلس كإقطاعية خاصة بها مدى الحياة . ينظر : الصوري ، تاريخ الحروب ، ج2ص732-733 -796-799.

(31) عبدالعزيز سالم ، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي (القاهرة: 1967م)، ص 248 ، عمران" معركة حارم التحالف البيزنطي الصليبي الأرميني ضد نور الدين زنكي " (مجلة المؤرخ العربي ، بغداد : 1978)، ع 8 ، ص90 – 91 ؛ بسام العسلي ، فن الحرب الإسلامي في أيام الحروب الصليبية (بيروت :1988م) ، ج4، ص336– 337

(32) الصوري ، تاريخ الحروب ج 2،ص 888 ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج 11، ص295 ؛ أبو شامة ، الروضتين ، ج1 ، ص 127 – 128.

(33) حصن حارم : حصن منيع من أعمال حلب تجاه أنطاكية 0 ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج2 ، ص205 وقد أقيم فوق هضبة مرتفعة صعبة المنال للمهاجمين ولا يمكن النيل منها بسهولة .ينظر : الصوري ، تاريخ الحروب ، ج 2 ، ص 1006 .

(34) بلدوين "الدويلات اللاتينية" ، ج1 ، ص 207.

(35) ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، تحقيق : عبدالقادر أحمد طليمات (القاهرة : 1963م) ، ص 125.

(36) عاشور ، الحركة ، ج2 ، ص 686؛ إيليسيف" المملكة اللاتينية " ، ص 234 – 235.

(37) التركبولية : ويقصد بهم الأجناد الذين كانوا يشكلون جزءً من القوة العسكرية للجيش الصليبي وكانوا من أمهات يونانيات وآباء من الترك والعرب ، ونظراً لأنه لم يكن لديهم من شرف المولد ما يعتزون به فقد تزوجوا من المسيحيات المحليات في بلاد الشام ، وأخذ التركبولية منذ سنة 545هـ/ 1150م ويؤلفون طبقة البولان (Poulains) ويبلغ عددهم سنة 576هـ/ 1180م ، حوالي خمسة

ألاف شخص ، ينظر : ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : الباز العريني (بيروت : 1967م) ، ج2 ، ص 469؛ يوشع براور ،عالم الصليبيين ،ترجمة وتقديم وتعقيب :قاسم عبدة قاسم (القاهرة :1999م) ، ص163 .

(37) الصوري ، تاريخ الحـروب ،ج2،ص899 ؛ بلدوين " الدويلات اللاتينية " ج1 ،ص208.

(39) المرحلة : هي ما يقطعه المسافر في يوم واحد ، وتقدر بحوالي (35 كم) . ينظر : شـاكر خصباك ، "رواد الجـغرافية العربيـة" (مجلة الاستشراق ، بغداد :1990م) ، ع4 ،ص51 .

(40) أبو شامة ، الروضتين ،ج1، ص421.

(41) الصلابي ، الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي (بيروت :2007م)،ص565.

(42) قلعة صافيتا : قلعة تقع في عمق الساحل الشامي على ارتفاع (1000قدم) فـوق سطـح البحـر ، حرره ـا الـسلطان المـملوكي الظـاهر بيـبرس سـنة 669هـ/ 1271م . ينظر : فولفغانغ مولر فينر، القلاع أيام الحـروب الصليبية ، ترجمة : محمد وليد الجلاد ،ط2(دمشق :1984م)، ص 63.

(43) حصن المنيطرة : حصن في بلاد الشام قرب طرابلس. ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5،ص217

(44) حصن عرقة : بلدة وحصن يقع على بعد 4 فراسخ شرقي طرابلس ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج4 ، ص109..

(45) قلعة هونـين : قلعة شيدها الصليبيون سنة 500هـ/1106م في عهد الملك بلدوين الأول فوق مرتفع صـخري على الطريق الواصل بين مدينتي بانياس وصور ، ينظر : عز الدين محمد علي بن شداد ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق سامي الدهان (بيروت:1963م) ،ج2 ،ص152.

(46) يوسف بن رافع بن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق:جمال الدين الشيال (القاهرة:1964م)، ص 65 .

(47) قلعه أبي قبيس : قلعة تقع مقابل إمارة شيزر . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج1، ص81 .

(48) قلعة أفامية: مدينة وقلعة حصينة من سواحل بلاد الشام تابعة لحمص ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج1 ، ص 227

(49) مقامي ، فرق الرهبان ، ص 44.

(50) شمس الدين يوسف سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان (الدكن : د.ت) ،ج 8، ص125 ؛ ابن الأثير ، الكامل ،ج9 ،ص217 –218 ؛ إيليسيف ، " المملكه اللاتينية"، ص 239.

(51) مقامي ، فرق الرهبان ، ص44 – 45

(52) مقامي ، فرق الرهبان ، ص 45.

(53) فرق الرهبان ، ص 45

(54) تاريخ الحروب ، ج2 ، ص613.

(55) أبو بكر عبد الله بن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر المسمى الدر المطلوب في أخبار بني ايوب ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة : 1972م) ، ج7، ص29 ؛ بلدوين "الدويلات اللاتينية" ،ج1،ص210.

(56) ابن الأثير، التاريخ الباهر ، ص138.

(57) التاريخ الباهر ، ص 139 .

(58) سالم ، دراسة ، ص47 .

(59) عبدالقادر أحمد اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب (بيروت: 1969م) ، ص131 ؛ إيليسيف ، " المملكة اللاتينية " ، ص236.

(60) عمران ، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها (بيروت : 2002م) ، ص 283 ؛ إسحاق تاوضروس عبيد ، روما و بيزنطة (القاهرة: 1970م) ، ص228 " بلدوين ،" الدويلات اللاتينية " ج1،ص 209

(61) كروسيه ، الحروب الصليبية ، ص71.

(62) سالم ، دراسة ، ص47 – 48.

(63) كروسيه ، الحروب الصليبية ، ص71

(64) اليوسف ، علاقات ، ص 131 – 132 ؛ سالم ، دراسة ، ص 48–49 .

(65) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص75.

(66) الكامل ، ج11 ، ص 351.

(67) " الدويلات اللاتينية " ، ج1 ،ص211 .

(68) اليوسف ، علاقات ، ص 132؛ سالم ،دراسة ،ص 49.

(69) عمران ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص283.

(70) عمر كمال توفيق ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (القاهرة: 1967م) ، ص 149 – 150؛ عبيد ، روما ، ص 229 – 230 ؛ عوض ، تاريخ الحروب ، ص120.

(71) مقامي ، فرق الرهبان ، ص47–48.

(72) عبيد ، روما ، ص234.

(73) فيليب كونت فلاندر : هو ابن ثيري كونت فلاندر وكونتيه أنجو الفرنسية ، وكان الصليبيون يأملون من وراء قدومه إلى الشرق تحقيق أهداف كثيرة لما عرف عنه اشتراكه في الحملات الصليبية ولما اشتهر به من التقوى وتعلقه بالأراضي المقدسة رفض قيادة الحملة على مصر فانسحب إلى القدس ثم نابلس وأستقل سفينة من اللاذقية إلى القسطنطينية ثم عاد إلى أوربا . ينظر : الصوري ، تاريخ الحروب ، ج2 ، ص 989 – 996 .

(74) رنسيمان ، تاريخ الحروب ، ج 2 ، ص669 ؛ الصوري ، تاريخ الحروب ، ج2 ، ص989- 990 .

(75) ابن الأثير ، الكامل ، ج9 ، ص105 -106.

(76) مقامي ، فرق الرهبان ،ص64.

(77) قاسم عبده قاسم ، في تاريخ الأيوبيين والمماليك (القاهرة :2007م)،ص93-94.

(78) الصلابي ، الأيوبيون بعد صلاح الدين والحملات الصليبية من الرابعة إلى السابعة (القاهرة :2008م)،ص93.

(79) كلود ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة : أحمد الشيخ (القاهرة :1995م) ،ص236 .

(80) سالم ، دراسة ، ص144.

(81) قاسم ، في تاريخ الأيوبيين ،ص106.

(82) التيوتون : هم سكان جرمانيا الشمالية ، أما تنظيم التيوتون فكان تنظيم خيري في بادئ الأمر ثم تحول سنة 595هـ/1198م ، إلى تنظيم عسكري وأقتصر على أفراد الطبقة الارستقراطية من الألمان 0 ينظر : كروس يه ، الحروب الصليبية ،ص99 .

(83) عوض ، تاريخ الحروب ،ص125.

(84) أرنست باركر ، الحروب الصليبية ، ترجمة:الباز العريني (بيروت : 1967م) ،ص105- 107؛ اليوسف ، علاقات ، ص167 ؛ ميخائيل زابوروف ، الصليبيون في الشرق، ترجمة:الياس شاهين(موسكو : 1986م) ،ص293 -294 0

(85) الصلابي ، الأيوبيون ،ص125 .

(86) للمزيد من التفاصيل عن تلك الشخصيات الأيوبية ودورها في مقاومة الغزو الصليبي .ينظر : محمود ياسين التكريتي ، الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة (بغداد :1981م)،ص272-277.؛ الصلابي ،الأيوبيون ،ص98-102.

(87) الدواداري ، كنز الدرر ،ج7، ص 198

(88) القيمون : حصن قرب مدينة الرملة من أعمال فلسطين 0 ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج4 ، ص424 ..

(89) أبو شامة ، الروضتين ، ج2 ، ص108.

(90) حصن عثليث : حصن منيع يقع على الطريق الساحلي الذي يصل بين مدينتي حيفا وقيسارية وقد سمي بقلعة الحجاج نسبة إلى الحجاج النصارى القادمين من أوربا إلى القدس . وللمزيد. ينظر : فتحي سالم حميدي ، " حصن عثليث بناؤه ودوره في عصر الحروب الصليبية " (مجلة كلية العلوم الإسلامية ، الموصل : 2009 م) ، م3 ، ع5 ،ص 111 - 124 .

(91) ابن الأثير ، الكامل ، ج 9،ص656-657 ؛ أبو شامة ، الروضتين ، ص117 .

(92) رنسيمان ، تاريخ الحروب ، ج 3، ص284-287؛ عاشور ، الحركة ج 2 ، ص 975 ؛ اليوسف ،علاقات ،ص 168 - 170.

(93) كاهن ،الشرق والغرب ، ص236

(94) زابوروف ، الصليبيون ، ص299؛ مقامي ، فرق الرهبان ص65.

(95) باركر ، الحروب الصليبية ، ص109- 110؛ اليوسف ، علاقات ، ص 169- 170.

(96) تاريخ الحروب ،ج3،ص301-302.

(97) الصليبيون ، ص300 .

(98) إسماعيل بن محمد ، المختصر في أخبار البشر ، تحقيق : محمود ديوب (بيروت : 1997م) ، ج3 ،ص130.

(99) براور، عالم الصليبيين ، ص148 .

(100) عوض ،تاريخ الحروب ، ص125 –126 .

(101) للمزيد من التفاصيل عن الاتفاق بين الملك الكامل الايوبي والصليبيين . ينظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 4 ،ص97 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج6،ص242

(102) رنسيمان ، تاريخ الحروب ، ج3، ص301.

(103) كمال الدين عمر بن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق:سامي الدهان (دمشق:1953م) ج3، ص190.

(104) براور ، عالم الصليبيين ،ص148 .

(105) أبو الفدا ، المختصر ، ج3 ،ص178.

(106) المنصورة : بلدة أنشأها الملك الكامل الأيوبي بين دمياط والقاهرة 0 ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ،ص212

(107) Jean , The Life of Saint Louis , in Chronicle of the Crusades, trans by : Show penguin books(London:1976),P.115

(108) يوسف ، العدوان الصليبي ، ص183؛ عوض ، تاريخ الحروب ، ص129

(109) عوض ، تاريخ الحروب ، ص129;
Rene Grousset , Historie des Croisades et du Royaume Jersalem (Paris:1936), Vol , III , P.492 .

(110) Jean, The Life of Saint Louis ,P.117.